في الاجتماع اللغوي

اللهجات العامية الحديثة

الرسم العربي : أثر اللهجات العامية في صعوبته

مظاهر نقصه ووسائل اصلاحه

للدكتور علي عبد الواحد وافي

أستاذ الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

— ٦ —

لا ترمز حروف الهجاء في الرسم العربي إلا إلى الأصوات الساكنة (ونعني بها ما يقابل أصوات المد) وأصوات المد الطويلة (الألف والياء والواو) . أما أصوات المد القصيرة فيرمز إليها بحركات يوضع بعضها فوق الحرف وبعضها تحته (كُتِبَ كَتَبَ ... الخ)[1].

(١) يرمز كذلك بالحركات في الرسم العربي إلى تشديد الحرف (أما) وتنوينه (كتاب) وإلى الألف التي تلحق الهمزة (آجلا)

عجوزة فقط ، ولا يجوز وصفها بعجوز في لغة هذا العهد ، لأن اللغة صائرة إلى التقعيد Normalisation وهو استنادها إلى قواعد وأصول في جميع الشؤون ، بحيث ينقرض الشذوذ الذي يأخذ قوته من السماع

فأنا أقول: زوج وزوجة ، وخادم وخادمة ، وصبور وصبورة ، وقتيل وقتيلة ، وجريح وجريحة ، وعجوز وعجوزة ، لتوكيد التفريق بين المذكر والمؤنث ، وهو غرض يقصده البلغاء

فإن احتججت بلغة القرآن فسألقاك بأدلة جديدة توهن ذلك الاحتجاج ، بدون أن أخرج عن الأدب في الحديث عن لغة القرآن . وإن آزرك الأستاذ الكبير « ا . ع » فسيكون للأقلام مجال في تحرير مشكلة طال عليها الخلاف ، وسنمد لغة العرب بزاد هي إليه في اشتياق ، لأنه باب من الحرية في الأداء ، ولأنه عون على التحديد والتعيين حين تختلف المعاني والأغراض ، والسلام .

زكي مبارك

ولا نكاد ندون هذه الحركات في عصرنا الحاضر إلا في الكتب الأولية التي تستخدم في تعليم الناشء مبادىء القراءة والكتابة . أما فيما عدا ذلك فقد جرت العادة غالباً أن تدون الكلمات في الكتابة والطبع عارية عن الشكل . ومن أجل ذلك أخذ بعض الباحثين على الرسم العربي بعض مآخذ من أهمها ما يلي :

١ — أنه لا يستطيع أحد أن يقرأ نصاً عربياً قراءة صحيحة ويشكل جميع حروفه شكلا صحيحاً إلا إذا كان ملماً بقواعد اللغة العربية وأوزان مفرداتها إلماماً تاماً ، وفاهماً معنى ما يقرؤه . ويردد من يأخذ هذا المأخذ على الرسم العربي ما قاله قاسم أمين من أنه في معظم اللغات الأوربية يقرأ الناس قراءة صحيحة ما تقع عليه أبصارهم وتتخذ القراءة وسيلة للفهم : أما نحن فلا نستطيع أن نقرأ قراءة صحيحة إلا إذا فهمنا أولاً ما نريد قراءته

٢ — أن النص العربي الواحد عُرضة لأن يقرأ قراءات متعددة بعيدة عن اللغة الفصحى . وذلك أنه قد حدث تناوب واسع النطاق في أصوات المد القصيرة (التي يرمز إليها بالفتحة والكسرة والضمة) في اللهجات العامية كما تقدم بيان ذلك في إحدى مقالاتنا السابقة ؛ حتى أننا لا نكاد نجد كلمة باقية في هذه اللهجات على وزنها العربي الصحيح . وتختلف هذه الأوزان باختلاف اللهجات (خِسِر ، خُسُر ، يِسْمِل ، يِسْمَل ... الخ) . فالنص العربي المجرد من الشكل عُرضة لأن يقرأه أهل كل لهجة حسب منهج لهجتهم في وزن الكلمات[1]

٣ — أنه من المتعذر مع هذا الرسم قراءة أسماء الأعلام (أسماء الأمكنة والبلاد والبحار والجبال والأناس ... الخ) قراءة صحيحة . ولذلك تضطر بعض المعاجم والمؤلفات إلى تهجي حروف الكلمات التي من هذا القبيل ، والنص على حركة كل حرف منها ؛ فتقول مثلاً « صفين بكسر الصاد وتشديد الفاء المكسورة » ، « الغفاري بكسر الغين وتخفيف الفاء » وهلم جرا

(١) أنظر عدد ٤١١ صفحة ٦٢٠

وقد قدمت عدة اقتراحات لسد مواطن النقص السابق ذكرها

فتقدم بعضهم باقتراحات ساذجة هدامة لا تكاد تستحق عناء المناقشة . فمن ذلك استبدال الحروف اللاتينية ومنهج الرسم اللاتيني بالحروف العربية ومنهج الرسم العربي . ولا يقوم هذا الاقتراح إلا على مجرد الرغبة الآثمة في تقليد الغربيين ؛ إذ ليس ثمت ما يدعو إلى اصطناع الحروف اللاتينية . وإن كان لا بد من السير على طريقة الرسم اللاتيني بصدد أصوات المد القصيرة ، فلا يقتضينا ذلك أكثر من اختراع ثلاثة أحرف ترسم في صلب الكلمة بدل الفتحة والكسرة والضمة كما سنذكر ذلك في بعض الاقتراحات الآتية . وأكثر من هذا هدماً لكيان اللغة العربية ما ذهبت إليه طائفة في علاج الرسم ، إذ اقترحت إلغاء الإعراب وإلزام السكون أواخر الكلمات ، حتى تضيق مسافة الخلف بين رسم الكلمة ونطقها في اللهجات العاميه المستخدمة في المحادثة ، فتسهل على الناس القراءة ، ويتخلص الرسم العربي من بعض عيوبه . وقد كفانا أستاذنا الجليل أحمد لطفي السيد باشا مئونة الرد على هذا الاقتراح بما عقب عليه به في الشئون الاجتماعية إذ يقول : « وهذا الرأي مطعون فيه من وجهين : أما الأول فإنه لا يحل من المسألة إلا بعضها دون البعض الآخر ؛ لأن ضبط حركات الحروف ليس ضرورياً في الإعراب فحسب ، بل هو أشد ضرورة في بنية الكلمة . وهذا الضبط من جواهر اللغة ؛ فإذا أهملنا الإعراب وأهملنا الشكل ولم نأت بطريقة تقوم مقامه ظل الناس يلفظون الكلمات على غير وجهها الصحيح كما هم الآن يفعلون . وأما الوجه الثاني فإن في هذا الرأي إهداراً لصورة اللغة العربية وقضاء على أهم مميزاتها . وذلك ما لا نظن أحداً يرضاه ، خصوصاً متى أمكن تسهيل تعليم اللغة وشيوعها من غير الالتجاء إلى العبث بسلامتها ومميزاتها[1] »

واقترح بعضهم إدخال الشكل في بنية الكلمة حتى لا يتخطاه نظر القارئ ؛ وذلك بأن تخترع حروف للرمز إلى أصوات المد القصيرة (التي يرمز إليها الآن بالفتحة والكسرة والضمة) ، وتدون هذه الحروف في صلب الكلمة في مواضعها . فلتدوين كلمة « كتب » مثلاً يرسم بعد كل من الكاف والتاء والباء الحرف الذي سيخترع للاشارة إلى ما تشير إليه الفتحة في رسمنا الحاضر . وهذا هو المنهج الذي يسير عليه الرسم الأوربي Kataba وينتصر لهذا الاقتراح عدد كبير من الباحثين على رأسهم أستاذنا الجليل أحمد لطفي السيد باشا [1] .

واقترح آخرون أن يكون لكل حرف من حروف الهجاء العربي أربع صور مختلفة : صورة في حالة تحركه بالفتح ؛ وأخرى في حالة تحركه بالكسر ؛ وثالثة في حالة تحركه بالضم ؛ ورابعة في حالة تسكينه . وهذا في مجمله هو المنهج الذي يسير عليه الرسم الحبشي [2] .

---

(١) بجلة الشئون الاجتماعية عدد فبراير سنة ١٩٤١ . هذا وكنا نود لو اقتصر أستاذنا الجليل على ما تقدم ، ولم يعقب عليه بما قد يفهم منه بعض الناس أن مثل هذه الاعتبارات لا ينبغي أن تحول دون تحقيق التيسير الذي يتضمنه هذا الاقتراح .

(١) نشر هذا الرأي في مجلة الموسوعات سنة ١٨٩٨ ؛ ثم عاد فأشار إليه بمجلة الشئون الاجتماعية بعدد فبراير سنة ١٩٤١ . غير أنه عقب عليه في صفحة ١١ من هذه المجلة الأخيرة بما نصه : « ولست متمسكا بالطريقة التي اقترحتها منذ زمان بعيد . ولكني راض بأية طريقة أخرى تؤدي إلى الغاية التي ننشدها من توحيد لغة الكتابة ولغة الكلام في الجملة ليسهل تعليمها من ناحية وليوجد حد مشترك من اللغة بين المتعلمين وغير المتعلمين » . غير أنه يظهر لنا أن هذه الغاية لا يكاد يتحقق شيء منها بإدخال الشكل في رسم الكلمة ؛ وأن الفائدة التي يحققها هذا الاصلاح لا تكاد تعدو تسهيل القراءة وانتفاء الخطأ في ضبط الكلمة المكتوبة حسب وزنها في اللغة الفصحى .

(٢) قدمت أنا هذا الاقتراح في مجلس علمي جرى فيه الحديث عن هذا الموضوع ، ووافقني عليه كثير من الحاضرين . ولم يتقدم به فيما أعلم أحد من قبلي . وتتفضل هذه الطريقة الطريقة السابقة بأنها تحقق الغرض المنشود مع إبقاء عدد حروف الكلمة على ما هي عليه ؛ فتوفر بذلك قسطا كبيراً من الوقت والمجهود والنفقات المادية في الورق وحجم الحروف وأجور العمال ... وما إلى ذلك من الأمور التي تقتضيها الطريقة السابقة . فكلمة « كتب » مثلا ترسم ثلاثة أحرف حسب هذه الطريقة ، على حين أنها ترسم ستة حسب الطريقة السابقة

غير أني عقبت على ذلك في نفس المجلس بأن مناقشة هذا الاقتراح وما إليه لا يكون إلا بعد التسليم بضرورة إصلاح الرسم العربي من هذه الناحية وصرحت بأني لا أسلم مطلقا بهذه الضرورة ، وبأن كل إصلاح في هذا السبيل — مهما بدا وجيها — فان ضرره سيكون أكبر من نفعه .

وترى جماعة الاكتفاء بالتزام الشكل فى المطبوع والمكتوب حتى يستطيع كل فرد أن يقرأ ما يقع عليه نظره قراءة صحيحة[1]

والذى أراه أن الصعوبة التى يشتمل عليها الرسم العربى لا يكاد يخلو من مثلها ، بل مما هو أشد منها ، أى نوع من أنواع الرسم . فاللبس الذى يحدثه أحياناً الرسم العربى ليس شيئاً مذكوراً بجانب اللبس الذى يحدثه الرسم الإنجليزى مثلاً ، وخاصة فى النطق بأصوات المد Vowels: a, e, i, o, u, ie, io, ei, oi, ea, ee... etc. فكثيراً ما يختلف النطق بالصوت الواحد من هذا النوع وغيره تبعاً لاختلاف الكلمات التى يرد فيها ؛ حتى أنه لا يستطاع قراءة معظم الكلمات الإنجليزية قراءة صحيحة بمجرد النظر إلى حروفها ؛ بل لا بد فى ذلك أن يكون القارئ قد عرف نطق الكلمة من قبل عن طريق سماعها من إنجليزى . كما أنه لا يستطيع كتابتها كتابة صحيحة بمجرد سماعها ؛ بل لا بد فى ذلك أن يكون قد حفظ حروفها — من قبل عن ظهر قلب[2] — . وفى الحق أن الرسم العربى ليعد من أكثر أنواع الرسم سهولة ودقة وضبطاً فى القواعد ومطابقة للنطق

أما وجوه الإصلاح التى أشرنا إلى بعضها فيما تقدم فيظهر لنا أن ضررها أكبر من نفعها ، فمعظمها يطيل رسم الكلمة أو يزيد من حروفها ، وفى هذا إسراف فى الوقت والجهود والنفقات المادية وشؤون الطبع . . . وما إلى ذلك . هذا إلى أن كل تغيير جوهرى يدخل على الرسم من شأنه أن يحول — عاجلاً أو آجلاً — بين الأجيال القادمة والانتفاع بالتراث العربى . حقاً إنه يمكن اتقاء ذلك بالالتجاء إلى إحدى محاولتين ؛ ولكن كلتيهما توقع فى صعوبة تزيد كثيراً عن الصعوبة التى تعمل على إزالتها . أما إحداهما فأن يتعلم كل فرد نوعين من الرسم العربى : الرسم القديم الذى يتيح له الانتفاع بنتاج الفكر العربى من النشأة إلى العصر الحاضر ؛ والرسم الحديث الذى يقرأ به ما يدون بعد هذا الإصلاح ويستخدمه فى كتابته ، ولا يخفى ما يترتب على ذلك من الارتباك ، وإطالة الزمن الذى تعلم فيه القراءة والكتابة ، وانفرادنا من بين سائر الأمم بأعجوبة فى ميادين الرسم والتعليم . وأما الأخرى فأن يُعمد إلى جميع ما كتب أو طبع بالرسم العربى القديم فيُعاد تدوينه وفق هذا الرسم الحديث ، ولا يخفى أن مشروعاً هذا شأنه تنوء به الجهود الإنسانية وتعجز الخزائن عن تمويله

على أن من اليسير اتقاء وجوه اللبس التى أشرنا إليها بدون الالتجاء إلى أى إصلاح من الإصلاحات الآنفة الذكر . فمن الممكن التغلب على هذه الصعوبة بالتزام شكل الكلمة التى من شأنها أن تثير اللبس عند أواسط المتعلمين إذا نزلت من غير شكل ، أما الكلمات التى يدل السياق على شكلها ، أو يكفى إلمام بمبادئ القواعد العربية للنطق بها على وجهها الصحيح ، أو لا يمكن أن ينطق بها فى صورة أخرى ، فمن العبث الالتجاء فيها إلى الشكل

على عبد الواحد وافى
ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة باريس

(١) لا يخفى ما يترتب على ذلك من إسراف فى الوقت والمجهود والورق ، ومن صعوبات فى سبك الحروف وجمعها ... وهلم جرا

(٢) أنظر تفصيل هذا الموضوع وما يتصل به بكتابنا « علم اللغة » آخر صفحة ٢٥١ وصفحات ٢٥٢ — ٢٥٧

الافصاح

المعجم العربى الفذ ، وهو خلاصة وافية للمخصص وغيره من المعجمات ، يرتب الألفاظ العربية على حسب معانيها ، ويسعفك باللفظ للمعنى المراد ، يعين العلماء على وضع المصطلحات العربية فى العلوم المختلفة ، ولا يستغنى عنه مترجم ولا أديب ، ٨٠٠ صفحة تقريباً ، طبع دار الكتب ، أشرفت طبعته على النفاد ، ثمنه ٢٥ قرشاً يطلب من مجلة الرسالة ومن المكتبات الكبيرة ومن مؤلفيه :

عبد الفتاح الصعيدى — رئيس التحرير بمجمع فؤاد الأول للغة العربية
حسين يوسف موسى — المدرس بالمدرسة السعيدية الثانوية بالجيزة